الوحي إلى الإمام عند السيد السبزواري

بحث مستل من رسالة الطالب نصير كريم كاظم الساعدي

الموسومة بـ

(مباحث علوم القرآن في تفسير مواهب الرحمن للسيد عبد الأعلى السبزواري)

بإشراف أ.د. علاوي سادر جازع

الملخص

١- يرى السيد السبزواري أن الإمام هو شخص منصوص عليه من قبل الله تعالى على لسان النبي–صلى الله عليه واله– فهو لذلك يشترط ان يكون معصوماً عن الخطأ والذنب صغيره وكبيره.

٢- يعتقد السيد ان الوحي إلى الإمام يعني إلهامه علماً يساعده على شرح وفهم آيات القران الكريم وتسديده إلى الطريق الصحيح الذي يؤدي إلى تطبيق الشريعة.

٣- إن الإمام في فهم السيد السبزواري يستلهم العلم من الله تعالى وهو يعي حقيقة ومصدرية هذا الإلهام، فهو إفاضة ربانية ومنحة سماوية، تنفتح على قلب الإمام– عليه السلام– لسمو روحه وعلو شأنه وطهارته، ولذلك أختص الإمام بالوحي.

Abstract

1-It was thought that Imam , is a person complied the script on him by god and by prophet's tongue (pray on him) so he would be as person in preservation of god's immunity from wrong things and of small and big faults .

2- AL-SAID AL- Sabzawari can see the view of AL-IMAM's inspiration 's mean the inspiration with science that can helps him to explain and understand the Aiat of holy Quran that were guided him to correctness way and leads him to application of legislation.

3-IMAM concluded the science by god and it's reality of referenced and inspiration, as well as it's god addition, it were opened on the IMAM'S heart (piece on him) his upgrading and pride distinguished from another humankind .

الوحي إلى الإمام

مقدمة:

تُشكل ظاهرة[١] الوحي حجر الأساس في دراسة الفكر الديني عموما، فالوحي يمثل حلقة الاتصال بين عالمي الغيب والشهادة او كما يصطلح المعاصرون بين عالمي الطبيعة وما وراء الطبيعة إذ ((يمثل الوحي مصدر المعرفة الإنسانية عن عالم الغيب في حين يشكل العقل والحواس مصدر المعرفة عن عالم الشهادة))[٢].

والوحي من أهم المصطلحات الإسلامية في مجال الفكر والعقيدة ، والإيمان بالوحي ووقوعه يشكل المحور الأساسي في الإيمان بالأنبياء والرسل عليهم السلام [٣] ، بيد أن الإيمان بهذه الظاهرة (كقضية غيبية) ليس خارجا عن نطاق العقل ، فضلا عن أن تكون مناقضة للعقل وخروجا عن قوانينه الفطرية. وقولنا أن العقل له القدرة على بيان صدق هذه القضية لا نريد به العقل المادي الذي يحلل الوحي الذي هو من عالم الغيب بأدوات المعرفة والأصول التي تجهزه بها العلوم الحديثة[٤]، من قبيل التجربة والملاحظة فهذا من غير الممكن بعد انقطاع النبوة واختتامها بالحبيب المصطفى-صلى الله عليه وآله- [٥]، وإنما يستدل العقل بعالم الشهادة على الغيب في ضوء بديع خلق الله تعالى وكمال نظمه .

ولأهمية موضوع ظاهرة الوحي عموماً، فقد تعرض لها السيد السبزواري في تفسيره مواهب الرحمن في تفسير القرآن، وتحديداً ظاهرة الوحي إلى الإمام، إذ كثر كلام العلماء واختلفوا في حقيقة وطبيعة هذا الإلهام، هل الإمام يوحى إليه كما هو يوحى إلى الأنبياء . عليهم السلام . من قبيل تكليمهم أو إرسال ملك إليهم أو الرؤيا الصادقة وغيرها.

وبحثنا هنا سيحاول الإجابة عن هذه التساؤلات من خلال ما تحدث السيد السبزواري في تفسيره مواهب الرحمن.

فالوحي لغة: قال ابن فارس: ((الواو والحاء والحرف المعتل، أصل يدل على إلقاء علم في خفاء او غيره الى غيرك، فالوحي: الإشارة ، والوحي الكتاب والرسالة، وكل ما ألقيته الى غيرك حتى علمه فهو وحي كيف كان)) [٦]،و((أصل الوحي الإشارة السريعة ولتضمن السرعة قيل أمر وحي)) [٧].

ومعنى الوحي هو الإعلام الخفي السريع، وهو اعم من أن يكون بإشارة او كتابة او رسالة او الهام غريزي او غير غريزي، وهو بهذا المعنى لا يختص بالأنبياء ولا بكونه من عند الله سبحانه وتعالى[٨].

اما اصطلاحاً: فقد اختلف العلماء في تعريف ظاهرة الوحي:

فعرفه الشيخ الزرقاني بقوله: ((أن يُعلم الله تعالى من اصطفاه من عباده، كل ما أراد اطلاعه عليه من ألوان الهداية والعلم، ولكن بطريقة سرية خفية غير معتادة للبشر))[٩]، وهذا التعريف استند إلى مصدر الوحي.

في حين اعتمد آخرون في تعريفهم على وصف ماهية الوحي فقالوا عنه: ((هو عرفان يجده الشخص في نفسه ، مع اليقين بأنه من قبل الله تعالى بواسطة او

بغير واسطة))[١٠] ، او هو((الاتصال الغيبي الخفي بين الله وأصفيائه))[١١] .

ويبدو إن ظاهرة الوحي في حقيقتها هي عملية إرسال واستقبال في وقت واحد، إرسال بوساطة الملك المؤتمن، واستقبال من قبل الشخص الموحى إليه[١٢] .

ويشير القرآن الكريم إلى أن هناك عددا من المخلوقات تشترك بظاهرة الوحي، قال تعالى:﴿ وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ أَنِ ٱتَّخِذِى مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ ٱلشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ﴾ النحل: ٦٨، وقوله تعالى:﴿ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ ۖ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِى ٱلْيَمِّ وَلَا تَخَافِى وَلَا تَحْزَنِىٓ ۖ ﴾ القصص: ٧، والذي يعنينا هنا ما كان يخص الوحي الرسالي تحديدا، وهو ما نزل على البشر من الله تعالى، قال تعالى:﴿ إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَٰرُونَ وَسُلَيْمَٰنَ ۚ ﴾ النساء: ١٦٣، وهؤلاء البشر بحكم تكليفهم من الله تعالى، واصطفائهم للقيام بمهام الدعوة إلى الله اختلفت مناصبهم بحسب المهام الموكلين بها.

وتكلم السيد السبزواري عن ثلاثة مناصب إلهية (النبوة والرسالة والإمامة).

وسأبين رأي السيد السبزواري في النبوة والرسالة بإيجاز، لان الوحي لهما مما لم يعترض عليه احد من المسلمين بحسب اطلاعي.

اما الإمامة فالقول بالوحي إليهم مما لم يتفق عليه العلماء، كما لم يتفقوا على تحديد ماهية هذا الوحي المنزل على الأئمة، وهل هذا الوحي يشتمل على نزول آيات قرآنية كما انزل على النبي – صلى الله عليه وآله –، لذا سيتعرض البحث لرأي السيد السبزواري في الوحي إلى الإمام بالتفصيل لأنه من القائلين بذلك .

يعرف السيد السبزواري النبي بقوله: ((هو الإنسان المخبر عن الله تعالى بلا واسطة بشر ، سواء كانت له شريعة كموسى وعيسى ومحمد(صلوات الله عليهم) ، أم لم تكن له شريعة كيحيى– عليه السلام– مثلا))[١٣] ، والنبي لتحمل هذه المسؤولية ((يحتاج إلى استعداد خاص، ونفس قدسية قد اتصفت بالفضائل والمكارم ، فلا يصطفي سبحانه إلا من علم انه يصلح لها، وهو اعلم بتلك الجهات التي يضعها فيها))[١٤]، وأساسها العصمة: ((وهي حالة في الإنسان يمتنع بموجبها عن ارتكاب المعاصي والآثام ، وما يوجب بعده عن الله تعالى، وهي تحدث عن الموهبة والاكتساب معا وبدون احدهما لا يمكن تحصيلها))[١٥] .

وتحدث السيد السبزواري عن الرسالة بقوله أنها ((سفارة إلهية إلى البشر لإيصالهم إلى الكمال المنشود، والحكم بينهم بالحق والقضاء بالقسط))[١٦]، والرسول ((هو الرابط بين عالم الغيب وعالم الشهادة ، وهو السفير الخاص من العالم الربوي، اختاره الله تعالى لتبليغ الرسالة وهداية العباد إلى ما فيه السعادة)) [١٧]، ولذلك فهو ((مأمور بتبليغ ما يوحى إليه ، من غير أن يكون له دخل في الوحي والموحى، فهو عبد مأمور يمتثل ما يأمر مولاه)) [١٨] وسيتضح الفارق بين الرسول والنبي في فقرة المقارنة بين الرسول والنبي والإمام لاحقا .

أما **مسألة الإمامة** فهي من الموضوعات التي اختلف فيها العلماء، وذهبوا فيها مذاهب فكان من المناسب التعرض لها بالتعريف.

المطلب الأول: تعريف الإمامة:

الإمامة لغة: الإمامة من الإمام وهو من أم القوم في الصلاة، يؤم مثل رد يرد، والإمام الذي يقتدى به وجمعه (أئمة)[١٩]، والإمامة رياسة المسلمين ومنصب الإمام ويقال (إمامية) نسبة إلى الإمام [٢٠].

والإمامة اصطلاحا: يذهب عدد من العلماء إلى القول بان الإمامة منصب الهي يمنحه الله تعالى لمن يختاره لعباده، فهي على هذا المفهوم تشارك النبوة والرسالة، وقد تفرق عنهما أن هناك من الأنبياء من لم يحز هذه المنحة الربانية كما سنرى عند التعرض للفرق بين هذه المناصب.

ومن الأنبياء من حازها وثبتت له في القرآن الكريم منهم نبي الله إبراهيم –عليه السلام– قال تعالى: ﴿ وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ۖ قَالَ إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ۖ قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِى ۖ قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ البقرة: ١٢٤.

ويتبين مواقف العلماء من الإمامة عند تعرضهم لهذه الآية، فمن المفسرين من عد الإمامة منصبا إلهيا مخصوصا من عنده تعالى على وفق صفات معينة وهي غير النبوة والرسالة ((والقرائن الواضحة تشير إلى أن منزلة الإمامة الممنوحة لإبراهيم –عليه السلام– بعد الامتحانات العسيرة، واجتياز مراحل اليقين والشجاعة والاستقامة، هي غير منزلة البشارة والإبلاغ والإنذار، وعليه فمن الممكن أن تكون لشخص منزلة النبوة وتبليغ الرسالة، بينما لا تكون له منزلة الإمامة، وهذه المنزلة تحتاج إلى مؤهلات كثيرة في جميع المجالات، وهي المنزلة التي نالها إبراهيم–عليه السلام– بعد كل هذه الامتحانات والمواقف العظيمة، وكانت آخر مرحلة من مراحل مسيرته التكاملية من هنا، فمنزلة الإمامة أسمى مما ذكر، بل أسمى من النبوة والرسالة، وهي المنزلة التي نالها إبراهيم عليه السلام من قبل الله بعد أن اجتاز الامتحان تلو الامتحان))[٢١]،

ومن المفسرين من عد الإمامة في الآية بمعنى الإتباع والانقياد ((وإنما أراد جل ثناؤه بقوله لإبراهيم–عليه السلام– : ((إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا)) إني مصيرك تؤم من بعدك من أهل الإيمان بي وبرسلي، فتقدمهم أنت، ويتبعون هديك ، ويستنون بسنتك التي تعمل بها بأمري إياك ووحيي إليك))[٢٢]، ومنهم من قال ان المراد منه النبوة ((المراد من الإمام ههنا النبي))[٢٣] ، ومنهم من قال بمعنى الاقتداء ((أي جزاء على ما فعل كما قام بالأوامر وترك الزواجر جعله الله للناس قدوة وإماما يقتدي به ويحتذي حذوه))[٢٤]،

ورجح الطبرسي كونها منصبا إلهيا بدليل اتصاف بعض الأنبياء بها دون غيرهم: ((لأن المستفاد من لفظ الإمام أمران أحدهما: إنه المقتدى به في أفعاله وأقواله، والثاني: إنه الذي يقوم بتدبير الأمة وسياستها، والقيام بأمورها، وتأديب جناتها، وتولية ولاتها، وإقامة الحدود على مستحقيها، ومحاربة من يكيدها ويعاديها، فعلى الوجه الأول لا يكون نبي من الأنبياء إلا وهو إمام .

وعلى الوجه الثاني لا يجب في كل نبي أن يكون إماما، إذ يجوز أن لا يكون مأمورا بتأديب الجناة، ومحاربة العداة، والدفاع عن حوزة الدين، ومجاهدة الكافرين، فلما ابتلى الله سبحانه إبراهيم– عليه السلام– بالكلمات فأتمهن، جعله إماما للأنام، جزاء له على ذلك))[٢٥] .

وهذه الإمامة المنصوصة والمنحة الربانية هل يمكن أن يتصف بها غير إبراهيم –عليه السلام– والنبي محمد – صلى الله عليه وآله – من البشر العاديين ؟

اجمع الناس على وجوب الإمامة في مفهومها العام ((خلافة النبي – صلى الله عليه وآله – لتسيير أمور الناس))[٢٦]، بمعنى الحاجة إلى هذا المنصب لتنظيم شؤون البلاد والعباد، واختلفوا فيها على وجهين:

أحدهما القول بأن الإمامة تثبت بالاتفاق والاختيار، **والثاني** القول بأن الإمامة تثبت بالنص والتعيين، فمن قال أن الإمامة تثبت بالاتفاق والاختيار قال بإمامة كل من اتفقت عليه الآمة أو جماعة معتبرة من الأمة إما مطلقا وإما بشرط أن يكون قرشيا على مذهب قوم وبشرط أن يكون هاشميا على مذهب قوم إلى شرائط أخرى ، ومن قالوا أن الإمامة تثبت بالنص قالوا بالنص على الحسن والحسين رضى الله عنهما وقالوا لا إمامة في الأخوين إلا الحسن والحسين رضى الله عنهما [٢٧].

والقائلون بالنص على الإمام هم الشيعة الذين شايعوا الإمام علي–عليه السلام– وقالوا بإمامته نصا من النبي محمد – صلى الله عليه وآله – ((وقالت الإمامية نص النبي – صلى الله عليه وآله – على علي عليه السلام تصريحا وتلويحا، وأن الإمامة عهد الله الذي لا خيرة للعباد فيه وأنها إمرة إلهية كالنبوة ... ولا يجوز للنبي – صلى الله عليه وآله – أن يترك أمته هملا يرى كل واحد رأيا ، ويسلك كل واحد سبيلا ، فلا بد من تعيين الإمام ، والنص عليه حسما للخلاف ، وقطعا لدابر الفتنة))[٢٨] ، و (الشيعة) مجموعة فرق والذي يراد منهم اليوم هم الشيعة الامامية الاثنى عشرية[٢٩]، ويتضح من ذلك الفارق بين من قال بالنص والقائل بالاختيار:

فالأول: الإمامة لديه منصب الهي اصطفائي من الله تعالى، ويترتب عليه شروطه التي أهمها العصمة[٣٠]((والإمام عند الإمامة: هو الوارث لعلم النبي ورياسته بعده المتخلق بأخلاقه، والمتحلي بأوصافه الجميلة، والخالي من جميع الأخلاق الرذيلة، السالك في الأمة سلوكه والثابت له كلما ثبت له عدا ربقة النبوة))[٣١] .

والقائل بالاختيار يشير إلى مجموعة من الشروط التي يجب أن يتحلى بها الإمام، أشير إليها في قول الشيخ التفتازاني: ((وقد ذكر في كتبنا الفقهية أنه لا بد للأمة من إمام يحيي الدين ويقيم السنة وينتصف للمظلومين ويستوفي الحقوق ويضعها مواضعها ويشترط أن يكون مكلفا مسلما عدلا حرا ذكرا مجتهدا شجاعا ذا رأي وكفاية سميعا بصيرا ناطقا قريشيا، فإن لم يوجد من قريش من يستجمع الصفات المعتبرة، ولي كناني، فإن لم يوجد فرجل من ولد إسماعيل، فإن لم يوجد فرجل من العجم، ولا يشترط أن يكون هاشميا ولا معصوما))[٣٢].

والفارق كما يتضح كبير بين الفريقين في الموضوع، فالإمام عند الأول معصوم منصوص عليه بالنص، واما الأخر فلا تشترط العصمة ولا يوجد نص عليه، وتفصيل هذه الموضوع مثبت في كتب علم الكلام .

وسيقتصر البحث على بيان مفهوم (الوحي) عند (الإمامية الاثنى عشرية) لسببين:

أولهما أنهم يقولون بالوحي إلى الأئمة بمعنى الإلهام، دون القائلين بعدم النص على هذا المنصب.

والآخر: إن السيد السبزواري هو من (الإمامية الاثنى عشرية) فالبحث في صدد بيان رأيه في الوحي إلى الأئمة عليهم السلام.

إذن الإمامة عند (الإمامية الاثنى عشرية) رئاسة عامة في أمور الدين والدنيا لشخص من الأشخاص نيابة عن النبي – صلى الله عليه وآله – [٣٣]، وهي((منصباً إلهياً يختاره الله بسابق علمه بعباده كما يختار النبي، ويأمر النبي بان يدل الأمة عليه ويأمرهم بإتباعه، وان الله سبحانه وتعالى أمر نبيه– صلى الله عليه وآله – بان ينص على علي–عليه السلام – وينصبه علماً للناس بعده))[٣٤].

المطلب الثاني: الوحي إلى الإمام:

تحدث السيد السبزواري عن مسألة الإمامة وشروطها في أكثر من مكان في تفسيره، ولكن هنا نطرح سؤال: هل الأئمة يتلقون الوحي؟ وما هو مقداره ؟

يقول السيد السبزواري: ((الأئمة ليس لهم نصيب من الوحي التشريعي وإنما شأنهم تفسير ما انزله الله تعالى . فليس لهم التشريع، ولا وضع حكم جديد ولا نسخ حكم ثابت في الكتاب والسنة..))[٣٥].

إذن هو ليس وحيا تشريعياً كما هو عند النبي- ﷺ - ، فلا تشريع ولا نسخ ولا قرآن نازل أصلاً عليهم، وان الوحي بهذا المعنى قد انقطع وانختم برسول الله محمد- ﷺ -، ومن ذلك ما حكاه الشيخ المفيد عن ((إجماع المسلمين على انه لا وحي إلى احد بعد نبينا، وانه لا يقال في شيء مما ذكرناه انه وحي إلى احد))[٣٦].

ومن الغريب ما نسبه الدكتور محمد عابد الجابري إلى الإمامية قولهم باستمرار تلقي الأئمة كلام الله تعالى[٣٧]، بعد ما سمعناه من قول الشيخ المفيد وهو من علماء الأمامية الكبار، إلا إذا كان يقصد(اعني الجابري) بقوله الاستمرار بالوحي هو الإلهام الرباني للائمة، وهذا النوع من الوحي قد أثبته علماء الإمامية للائمة-عليهم السلام- .

يقول الشيخ محمد رضا المظفر: ((إن قوة الإلهام عند الإمام تسمى بالقوة القدسية، تبلغ الكمال في أعلى درجاته، فيكون في صفاء نفسه القدسية على استعداد لتلقي المعلومات في كل وقت وفي كل حالة، فمتى توجه إلى شيء من الأشياء وأراد معرفته استطاع علمه، بتلك القوة القدسية الإلهية بلا توقف ولاترتيب مقدمات

ولا تلقين معلم))[٣٨].

وتحدث السيد السبزواري عن حقيقة علم الأئمة قائلا: ((ما ألهمهم الله تعالى من الذهن الثاقب، فلهم أن يكشفوا عن حكم الله ورسوله في القضايا والموضوعات العامة)) [٣٩]، ويتحدث السيد عن الإلهام بقوله: ((ما يبدي لقلبه ويظهر فيه بلا شبهة وهو الإلهام من الله تعالى))[٤٠] .

والسيد بقوله هنا يخالف الشيخ محمد عبده في تعريفه للإلهام الذي يقول عنه: ((وجدان تستيقنه النفس وتنساق إلى ما يطلب، من غير شعور منها من أين أتى))[٤١]، فالسيد السبزواري قيد الإلهام (بلا شبهة) أي أن الملهم يعرف مصدر الإلهام وهو الله تعالى، بينما نجد الشيخ محمد عبده يشير إلى أن الإلهام لا يعرف مصدريته.

ومن الباحثين من أشكل على جعل الإلهام نوعا من الوحي، ووضعوا فروق بين الاثنين ومنها مصدرية الوحي[٤٢].

وهذا الإشكال يناقش: بان الإلهام هو احد مصادر المعرفة التي قد يمن بها الله تعالى على بعض البشر، فيلهمهم بنوع عام من المعرفة يمكنهم من التعرف على معان الخير او الشر[٤٣]، فضلاً عن أن هذا النوع من الوحي أثبته العلماء[٤٤].

ولنا أن نقول أن الإلهام الذي تحدث عنه الله تعالى في كتابه المجيد في قصة ام موسى– عليه السلام– والحواريين، لو كان المتلقي للوحي لم يستيقن مصدر الإلهام، فكيف تفسر استجابة ام موسى للوحي وإلقائها موسى–عليه السلام– في اليم: في قوله تعالى:﴿ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ ۖ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِى ٱلْيَمِّ وَلَا تَخَافِى وَلَا تَحْزَنِىٓ ۖ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾القصص: ٧ ، وكذلك جواب الحواريون لقوله (جل وعلى) ، في قوله تعالى:﴿ وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى ٱلْحَوَارِيِّـۧنَ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِى وَبِرَسُولِى قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَٱشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ ﴾ المائدة: ١١١،

لذا نجد أن السيد السبزواري يقول عن آية الحواريين: ((ولكن الاستفادة من كونهم أنبياء الله من الوحي إليهم مشكل، لأنه اعم من ذلك، إذ قد يستعمل بمعنى الإلهام بمجرد الإلقاء في القلب من الله تعالى كما في قوله تعالى: ((وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ...))))[٤٥] ، وبه قال جمع من المفسرين[٤٦].

ونخلص إلى القول أن الإلهام الرباني نوع من الوحي، يجعله الله تعالى لخاصة عباده، والملهم يتلقاه وهو مستيقن من مصدره، حتى تتم الغاية وهي التكليف ولو كان ظني المصدر لكان فيه شبهة ولم يمتثل الملهم للأمر.

ولكن السؤال الذي يتبادر إلى الذهن هو أن الشريعة إذا تمت فما عمل الأئمة وحاجتهم للإلهام ؟

يقول السيد السبزواري :((عملهم شراح للكتاب والسنة ومبينين لما ورد فيهما))[٤٧] .

ونسأل أيضا إن شرح الكتاب والسنة النبوية ليس بميزة خاصة يحتاج لأجلها الإمام إلى الإلهام الرباني لتسديده للقيام بهذا العمل، بعد أن وجدنا أن هناك من العلماء من تصدى لشرح الكتاب والسنة والمكتبات زاخرة بهذه الكتب فما الفارق بين الاثنين ؟

يجب الشيخ مغنية ((إن علوم الأئمة وتعاليمهم يحدها – في عقيدة الشيعة – كتاب الله وسنة نبيه، وإن كل إمام من الأول إلى الثاني عشر قد أحاط إحاطة شاملة كاملة بكل ما في هذين الأصلين من الألف إلى الياء، بحيث لا يشذ عن علمهم معنى آية من آي الذكر الحكيم تنزيلا وتأويلا، ولا شيء من سنة رسول الله قولاً وفعلاً وتقريراً ، وكفى بمن أحاط بعلوم الكتاب والسنة فضلاً وعلماً ، وقد أخذ أهل البيت علوم الكتاب والسنة وفهموها ووعوها عن رسول الله ، تماماً كما أخذها ووعاها رسول الله عن جبرائيل، وكما وعاها جبرائيل عن الله، ولا فرق أبدا في شيء إلا بالواسطة فقط، وبكلمة أن غير الإمام عنده حديث ضعيف وحديث صحيح، وحديث معارض، وآخر بلا معارض، وحديث مجمل، وآخر مبين، أما الإمام فالحديث عنده هو عين ما قاله الرسول مع الصراحة والوضوح))[٤٨].

وفي ذلك ما روي عن جابر الأنصاري، قال : قال أبو جعفر الباقر–عليه السلام–: ((يا جابر والله لو كنا نحدث الناس أو حدثناهم برأينا لكنا من الهالكين، ولكنا نحدثهم بآثار عندنا من رسول الله – صلى الله عليه وآله – يتوارثها كابر عن كابر نكنزها كما يكنز هؤلاء ذهبهم وفضتهم))[٤٩].

إن حقيقة الهام الأئمة–عليهم السلام – من الله تعالى كما يرى السيد السبزواري: هو إلهامهم علما ليفسروا ويشرحوا كتاب الله والسنة النبوية ويبينون الشرع ويطبقونه ويحفظونه[٥٠].

وهو الراجح لان منصب الإمامة هو إكمال وظيفة الأنبياء وتطبيق الشريعة وحفظ الدين، ولخطورة هذه المهمة يحتاج المكلف بها لنوع من الوحي (الإلهام) ليسدده إلى الوجهة الصحيحة وتحقيق الغاية وهي الهداية وحفظ شريعة سيد الرسل وخاتمهم.

ولا يقول احد أن الإلهام إلى الأئمة غير ممكن، لان القرآن الكريم حكى لنا عن الهام الله تعالى لبشر غير الأنبياء أمثال أم موسى–عليه السلام – والحواريين، مع الاختلاف بين تكليفهم وتكليف الأئمة الذي هو حفظ الدين وتطبيق الشريعة.

المطلب الثالث: الفارق بين الرسول والنبي والإمام:

أولا :بين الرسول والنبي:

يقول السيد السبزواري: ((إن كل رسول نبي وليس كل نبي رسول، فيكون بينهما العموم المطلق، لان النبي يصح أن يكون نبيا في نفسه لنفسه من دون ان يؤمر بإبلاغ الشريعة إلى الناس فإذا أمر

بذلك يصير رسولا حينئذ سواء كانت شريعته مبتدأ ام ناسخة ، والنبي اعم من أن يكون له شريعة كمحمد – ﷺ –وعيسى وموسى–عليهما السلام – او لم تكن له شريعة كيحيى وذي الكفل ولوط–عليهم السلام– وغيرهم ممن هو كثير خصوصا في بني إسرائيل الذين كانوا يبلغون شريعة موسى–عليه السلام –كعلماء امة محمد – ﷺ – الذين يبلغون شريعة خاتم الأنبياء))[٥١].

وكلام السيد السبزواري يوافق كلام الشيخ المفيد[٥٢] والرازي[٥٣] ، ويخالف السيد الطباطبائي الذي يرى أن النبوة هي منصب البعث والتبليغ[٥٤]، فالسيد السبزواري يرى أن النبي يكلف فإذا أمر بالتبليغ صار رسولاً .

والخلاف ظاهر إذ أن السيد السبزواري يذهب إلى أن النبي غير مأمور بالتبليغ، والسيد الطباطبائي يرى أن النبي مأمور بالتبليغ، ودليل الثاني إن الله سبحانه وتعالى قرن بين الأنبياء والرسل في قوله تعالى:﴿ وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ مُوسَىٰٓۚ إِنَّهُۥ كَانَ مُخۡلَصٗا وَكَانَ رَسُولٗا نَّبِيّٗا ﴾ مريم:٥١ . وقوله تعالى:﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٖ وَلَا نَبِيٍّ ﴾ الحج: ٥٢، وهنا الله تعالى جمع بين النبي والرسول وهذا دليل على تساويهم كما يقول السيد الطباطبائي.

ورد الرازي على الرافضين للقول بعموم النبوة وخصوص الرسالة بالمعنى الذي حكاه السبزواري، في أن الآيات الجامعة للنبوة والرسالة هي من باب عطف النبي على الرسول، وهو يشير إلى قوله تعالى:﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا فِي قَرۡيَةٖ مِّن نَّبِيٍّ إِلَّآ أَخَذۡنَآ أَهۡلَهَا بِٱلۡبَأۡسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمۡ يَضَّرَّعُونَ ﴾ الأعراف: ٩٤، فيقول ((فذلك يدل على انه كان نبي فجعله الله رسولا))[٥٥].

وعد السيد السبزواري فروقا أخرى بين النبي والرسول، من قبيل ((مبدأ إفاضتهم من ربهم، فان الرسول يفاض عليه من الله تعالى بغير واسطة ويرى الملك، والنبي يفاض عليه بالواسطة منه تعالى ولا يرى الملك))[٥٦].

ثانيا: بين الرسول والنبي والإمام:

يقول السيد: ((فان مجرد إنزال التشريعات السماوية على من يختاره الله تعالى تكون نبوة . وأمره تعالى ذلك النبي أن يرسل ويبلغ ما انزل عليه إلى الناس يكون رسالة، كما أن أمر الله تعالى ذلك الرسول بإخراجها في الناس وإقامته فيهم يكون إمامة، ويصح انفكاك الأول عن الأخيرين كما في جمع كثير من الأنبياء–عليهم السلام– مثل لوط ويونس وهود وغيرهم، كما يصح انفكاك الأخير عن

الأوليين، كخلفاء رسول الله – صلى الله عليه وآله –، ويصح اجتماع الجميع كما في إبراهيم وموسى وعيسى وخاتم النبيين– صلى الله عليه وآله –، فلا ملزم أن يكون كل نبي او رسول إماماً، كما لا ملزم أن يكون كل إمام نبياً او رسولاً))[٥٧] ، فالإمامة كما مر هي منصب الهي كالنبوة والرسالة، فكما يمكن أن يتصف النبي بالرسالة وغيره لا، فيمكن أن يتصف النبي بالإمامة وغيره لا، والعكس صحيح .

مما تقدم يتبين:

أن السيد السبزواري يقول بالإلهام إلى الأئمة، اما حقيقة هذا الإلهام فهو نوع من التسديد والتوفيق الذي يصاحب الإمام لغرض القيام بمسؤوليته، وذلك لبيان وشرح وتطبيق الشريعة، والتي بدورها تحتاج إلى استمرار التأييد من الله تعالى.

الهوامش:

١ – الظاهرة: هي الحادثة التي ترصد وتدون وحين تستمر كشيء دائم تعامل كواقعة اجتماعية وتاريخية، فتفرق الأولى عن الثانية انها وقتية بزمان وجودها. ينظر: معجم المصطلحات الاجتماعية:٢٧٢ .

٢ – علوم القران وإعجازه :الدكتور عدنان محمد زرزور: ٧٢.

٣ – ينظر:القران في مدرسة أهل البيت–عليهم السلام–: ١٧ .

٤ – ينظر:الإلهيات على هدى الكتاب والسنة والعقل:٣ /١٢٩.

٥ – ينظر: القران في مدرسة أهل البيت–عليهم السلام– : ١٧ .

٦ – معجم مقاييس اللغة:٦/ ٩٢، مادة وحى.

٧ – المفردات في غريب القرآن: ٥٣٨ .

٨ – ينظر:المدخل لدراسة القرآن الكريم: ٨٤.

٩ – مناهل العرفان في علوم القران:١/ ٧٩ .

١٠ – الوحي المحمدي: محمد رشيد رضا:٨ .

١١ – المدرسة القرآنية : ٢٢٠.

١٢ – ينظر تاريخ القران :٢١ .

١٣ – مواهب الرحمن:١ / ٣٦٨ ، وينظر: المصدر نفسه:١٤ /١٢٩ .

١٤ – مواهب الرحمن:١٤ / ٣٦١ .

١٥ – مواهب الرحمن :١٤/ ١٨٠ ،وينظر:التفسير الكاشف :١/ ٨٧، والاقتصاد: ١٤٠٠هـ :٦١ .

١٦– مواهب الرحمن:٥ / ٣٥٤ .

١٧ – المصدر نفسه:٤/ ١٨٠ .

١٨ – المصدر نفسه: ١٨٤/٤ . ١٨٥ .

١٩ – ينظر:مختار الصحاح: ٢٦ ،مادة (أم).

٢٠ – ينظر:المعجم الوسيط: ١/ ٢٦، مادة (أم) .

٢١ – الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل :١ /٣٧٠– ٣٧٣ .

٢٢ – جامع البيان:١/ ٧٣٧.

٢٣ – تفسير الرازي :٤/ ٤٣ .

٢٤ – تفسير القرآن العظيم المعروف، بتفسير ابن كثير:١ /١٧٠ ،ينظر: فتح القدير: ١ / ١٤٠.

٢٥ – مجمع البيان في تفسير القرآن : ٣٧٦/١ – ٣٧٧.

٢٦ – الشافي في الإمامة:١/ ٧ .

٢٧ – ينظر: الملل والنحل:١ /٣٠.٣١ .

٢٨ – الشافي في الإمامة:١/ ٧ .

٢٩ – ينظر: مدخل إلى القرآن الكريم:١٣٠ .

٣٠ – ينظر: الشيعة في الميزان:الشيخ محمد جواد مغنية، دار التعارف للمطبوعات بيروت، ط ٤: ١٣٩٩ هـ . ١٩٧٩م : ٣٨ .

٣١ – رسالة في الإمامة: ٢.

٣٢ – شرح المقاصد في علم الكلام:٢ / ٢٧١ – ٢٧٢.

٣٣ – النافع يوم الحشر في شرح الباب الحادى عشر: ٩٣ .

٣٤ – أصل الشيعة وأصولها: ٢٢١.

٣٥ – مواهب الرحمن :٨ / ٣٤٧ .

٣٦ – تصحيح اعتقادات الإمامية:٦٧ .

٣٧ – ينظر: مدخل إلى القران الكريم:١٣١ .

٣٨ – عقائد الإمامية: ٦٨، وينظر : القران في مدرسة أهل البيت–عليهم السلام– :١٩ .

٣٩ – مواهب الرحمن: ٨/ ٣٧٤.

٤٠ – المصدر نفسه :١٣/ ٣٣٥ .

٤١ – الوحي المحمدي: ٨ .

٤٢ – ينظر: الظاهرة القرآنية: ١٤٣، مباحث في علوم القران:صبحي الصالح:٢٦، التمهيد :١/ ٧٣ ، وتاريخ القران: ١٥. ١٧ ، آراء العلامة مرتضى العسكري في علوم القرآن(رسالة ماجستير): ٨٣.

٤٣ – ينظر: علوم القران والتفسير:الدكتور كاصد الزيدي:١٣.

٤٤ – ينظر: الفروق اللغوية:٧٠ ، والمفردات/ ٤٧٤، والمدخل لدراسة القران الكريم:٨٥ .

٤٥ – مواهب الرحمن:١٢ / ٣٩٣.

٤٦ – ينظر: التبيان في تفسير القرآن:٢/ ٤٥٨، وتفسير القران الحكيم ،المشهور بتفسير المنار:٧/ ٣١٨ .

٤٧ – مواهب الرحمن : ٨ /٣٥٠ .

٤٨ – الشيعة في الميزان: ١٣٩٩ – ١٩٧٩ م: ٤٣ – ٤٥ ، وأهل البيت–عليهم السلام– مقامهم ومنهجهم: ٨٣.

٤٩ – بحار الأنوار:٢/ ١٧٣ باب انهم عليهم السلام عندهم موارد العلم واصوله .

٥٠ – ينظر: مواهب الرحمن: ٨ /٣٥٠.

٥١ – مواهب :٢/ ١٨٨.١٨٩.

٥٢ –ينظر: النكت الاعتقادية:٣٤ .

٥٣ – ينظر: تفسير الرازي:٢٣ / ٤٩.

٥٤ – ينظر: الميزان في تفسير القرآن:٣ /٢٢٩ .

٥٥ – تفسير الرازي:٢٣ / ٤٩.

٥٦ – مواهب الرحمن: ٢/ ١٨٦.

٥٧ – مواهب الرحمن :٢ / ١٠.٩ .

المصادر والمراجع

١- آراء العلامة مرتضى العسكري في علوم القرآن: حسن محمود العزاوي، (رسالة ماجستير)، كلية التربية، جامعة بغداد،١٤٣١هـ .٢٠١٠م .

٢- أصل الشيعة وأصولها: الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء: تحقيق:علاء آل جعفر، مؤسسة الإمام علي-عليه السلام- ، ط١ :١٤١٥ هـ .

٣- الاقتصاد: الشيخ الطوسي، مطبعة الخيام للنشر. طهران،ط١: ١٤٠٠هـ .

٤- الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل :الشيخ ناصر مكارم الشيرازي،(د.ت.د.ن).

٥- الإلهيات على هدى الكتاب والسنة والعقل:محاضرات الشيخ جعفر السبحاني، بقلم الشيخ حسم مكي العاملي، مؤسسة الإمام الصادق -عليه السلام- ط٦: ١٤٢٦هـ .

٦- أهل البيت-عليهم السلام- مقامهم ومنهجهم : لجنة التأليف في مؤسسة البلاغ،مؤسسة البلاغ ،ط١١ : ١٤٢٧هـ. ٢٠٠٦م .

٧- بحار الأنوار:العلامة محمد باقر المجلسي(ت ١١١١هـ)، تحقيق: محمد الباقر البهبودي، دار إحياء التراث العربي . بيروت، ط٢: ١٤٠٣هـ – ١٩٨٣م.

٨- تاريخ القرآن: الدكتور محمد حسين الصغير، دار المؤرخ العربي . بيروت ، ط١: ١٤٢٠هـ . ١٩٩٩٠م .

٩- التبيان في تفسير القرآن: أبو جعفر محمد الطوسي، تحقيق: أحمد حبيب قصير العاملي، مكتب الإعلام الإسلامي . قم ، ط١: ١٢٠٩هـ.

١٠- تصحيح اعتقادات الإمامية: الشيخ محمد بن نعمان الملقب بالمفيد:تحقيق :الشيخ إبراهيم الأنصاري ، دار المفيد للطباعة . قم،ط٢: ١٤١٤هـ. ١٩٩٣م:٦٧ .

١١- تفسير القران الحكيم، المشهور بتفسير المنار:السيد محمد رشيد رضا،دار المنار. القاهرة ،ط٣: ١٣٦٧هـ.

١٢- تفسير القرآن العظيم المعروف، بتفسير ابن كثير: ابو الفداء اسماعيل بن كثير،تحقيق: يوسف عبد الرحمن المرعشلي، دار المعرفة . بيروت،ط: ١٤١٢هـ. ١٩٩٢م .

تفسير الرازي .

١٣- التفسير الكاشف: الشيخ محمد جواد مغنية ،دار الأنوار . بيروت،ط٤: .٢٠٠٩
١٤- التمهيد في علوم القرآن: الشيخ محمد هادي معرفة، مؤسسة التمهيد ـ قم، ط١: ١٤٢٨هـ ـ ٢٠٠٧م
١٥- جامع البيان:الشيخ ابو جعفر بن جرير الطبري، تحقيق:صدقي جميل العطار،دار الفكر. بيروت ،ط : ١٤١٥هـ .١٩٩٥م .
١٦- رسالة في الإمامة: الشيخ عباس حسن، ط: ١٣٢٣هـ ،(د.ت.د.ن) .
١٧- الشافي في الإمامة: الشريف المرتضى(ت ٤٦٣هـ)، تحقيق: عبد الزهراء الحسيني الخطيب: ط٢: ١٤١٠هـ ، مؤسسة إسماعيليان – قم .
١٨- شرح المقاصد في علم الكلام: للتفتازاني، دار المعارف النعمانية – باكستان، ط:١٤٠١ – ١٩٨١م .
١٩- الشيعة في الميزان:الشيخ محمد جواد مغنية، دار التعارف للمطبوعات بيروت، ط ٤: ١٣٩٩ هـ . ١٩٧٩م.
٢٠- الظاهرة القرآنية: مالك بن نبي، ترجمة عبد الصبور شاهين، دار الفكر. دمشق، ط٤: ١٩٨٧م.
٢١- عقائد الإمامية: الشيخ محمد رضا المظفر، تقديم :حامد الحنفي ، انتشارات انصريان . قم، (د. ت).
٢٢- علوم القرآن: السيد محمد باقر الحكيم، مجمع الفكر الإسلامي . قم، ط٥: ١٤٢٤هـ .
٢٣- علوم القران وإعجازه: الدكتور عدنان محمد زرزور،دار الإعلام . الأردن، ط١: ١٤٢٦هـ . ٢٠٠٥م .
٢٤- علوم القران والتفسير: الدكتور كاصد الزيدي والدكتور ابتهال كاصد الزيدي، المركز الوطني لعلوم القرآن . بغداد، ط١: ١٤١٣هـ . ٢٠١٠م :.١٣
٢٥- مباحث في علوم القران: الدكتور صبحي الصالح(ت ١٤٠٧هـ)، دار العلم للملايين . بيروت، ط: ٢٠٠٩ م .
٢٦- مجمع البيان في تفسير القرآن :الشيخ ابي علي الفضل بن الحسن الطبرسي تحقيق: لجنة من العلماء والمحققين ، مؤسسة الأعلمي- بيروت ، ط١: ١٤١٥ – ١٩٩٥ .

٢٧- محمد نبي الإسلام في التوراة والإنجيل والقرآن: محمد عزت طهطاوي، مطبعة التقدم(د.ت).

٢٨- مختار الصحاح: محمد بن أبي بكر الرازي ،دار الرسالة . الكويت ،ط:١٤٠٣هـ . ١٩٨٣م.

٢٩- المدخل إلى تفسير القرآن وعلومه : عدنان زرزور، دار العلم_ دمشق، ط٢: :١٤١٩هـ _١٩٩٨ م .

٣٠- مدخل إلى القرآن الكريم في التعريف بالقرآن: الدكتور محمد عابد الجابري(ت ١٤٣١هـ)، مركز دراسات الوحدة العربية . بيروت،ط٣: ٢٠١٠م .

٣١- المدخل لدراسة القرآن الكريم: محمد ابوشهبة، دار اللواء القاهرة، ط٣: ١٤٠٧هـ .١٩٨٧م .

٣٣- المدرسة القرآنية: السيد الشهيد محمد باقر الصدر ،تحقيق :لجنة التحقيق التابعة للمؤتمر العالمي للإمام الشهيد الصدر ، مركز الأبحاث التخصصية للشهيد الصدر. قم ،ط٢ : ١٤٢٤هـ .

٣١- معجم المصطلحات الاجتماعية: الدكتور خليل احمد خليل ،دار الفكر اللبناني . بيروت، ط١: ١٩٩٥ م .

٣٢- معجم مقاييس اللغة: ابو الحسن احمد بن فارس ،تحقيق: عبد السلام محمد هارون ،مكتب الإعلام الإسلامي . قم ،ط:١٤٠٤هـ.

٣٣- المعجم الوسيط: إبراهيم مصطفى وآخرون، مؤسسة الصادق للنشر. طهران، ط١٤٢٥:٥هـ.

34[٥٧]المفردات في غريب القرآن :ابو القاسم الحسين المعروف بالراغب الأصفهاني، تحقيق: هيثم طعيمي، دار إحياء التراث العربي . بيروت ، ط١: ١٤٢٨هـ .٢٠٠٨م .

٣٥- الملل والنحل: للشهرستاني: تخريج محمد بن فتح الله ،مكتبة الانجلو المصرية . القاهرة،ط٢: (د.ت) .

٣٦- مناهل العرفان في علوم القران:الشيخ عبد العظيم الزرقاني، تحقيق:هاني الحاج، المكتبة التوقيفية. مصر، (د.ت) .

٣٧- مواهب الرحمن في تفسير القرآن: السيد عبد الأعلى السبزواري، انتشارات دار التفسير ـ قم، ط٥: ١٤٣١هـ ـ ٢٠١٠م .

٣٨- موجز علوم القران:الدكتور داود العطار، منشورات ذوي القربى . قم ،ط١: ١٤٢٥هـ.

٣٩- الميزان في تفسير القرآن:السيد محمد حسين الطباطبائي، دار الاعلمي للمطبوعات . بيروت، ط١: ١٤١٧هـ .١٩٩٧م .

٤٠- فتح القدير: محمد بن علي بن محمد الشوكاني،عالم الكتب،(د.ت):١ / ١٤٠.

٤١- الفروق اللغوية: أبو هلال العسكري :تحقيق:الشيخ بيت الله البيات، مؤسسة النشر الإسلامي ،ط:١٤٢١هـ .

٤٢- في علوم القران: صابر ابو سليمان، الدار السلفية،ط:١٤٠٤هـ_١٩٨٤م .

٤٣- القران في مدرسة أهل البيت-عليهم السلام- ،هاشم الموسوي، مركز الغدير للدراسات الإسلامية قم، ط١: ١٤٢٠هـ . ٢٠٠٠م .

٤٤- النافع يوم الحشر في شرح الباب الحادى عشر: العلامة الحسن بن يوسف ابن مطهر الحلي:شرح : المقداد السيوري ، دار الأضواء للطباعة والنشر والتوزيع – بيروت ، ط٢ :١٤١٧ هـ - ١٩٩٦ م .

٤٥- النكت الاعتقادية: الشيخ المفيد،دار المفيد للنشر. بيروت ،ط٢: ١٤١٤هـ . ١٩٩٣م .

٤٦- الوحي المحمدي: محمد رشيد رضا(ت ١٣٣٤هـ)، دار الزهراء. مصر، ط:١٤٠٨هـ . ١٩٨٨م